Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 16 | Issue 1 Article 20

3-1-2020

مصطلح الملجأ في القرآن الكريم "دراسة موضوعية دلالية" The Term 'Refuge' in the Holy Quran - A Thematic and Semantic Study

Hala Nayef Mashaqbeh
Jordan University, H.mashaqbeh@ju.edu.jo

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

Mashaqbeh, Hala Nayef (2020) "مصطلح الملجأ في القرآن الكريم "دراسة موضوعية دلالية" The Term 'Refuge' in the Holy Quran - A Thematic and Semantic Study," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 16: Iss. 1, Article 20.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

Mashaqbeh: ????? ?????? ?? ?????? ?????? "????? ??????? ??????" The Term 'Refuge' in the Holy Quran - A Thematic and Semantic Study

مصطلح الملجأ في القرآن الكريم
"دراسة موضوعية دلالية"

د. هلا نايف المشاقبة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٩/٣/١٣م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٩/٧/١٤م

ملخص

تتناول هذه الدراسة تفسير وتحليل ثلاث آيات كريمات من سورتي التوبة والشورى؛ لتناولهما لفظ الملجأ، فجاءت هذه الدراسة بتمهيد ومبحثين، قمت فيهما بتفسير هذه الآيات تحليلياً بما يتناسب مع البحث، مع الاهتمام ببيان مناسبة هذه الآيات لموضوع ومحور السورة الرئيس، واسم السورة، وعلاقة ذلك بلفظ الملجأ، والاستخدام القرآني له دون غيره – في هذه الآيات– مما جاء في كتاب الله تعالى من الألفاظ ذات الصلة. تمهيداً لبيان خصوصية هذا اللفظ بهذه الآيات، ودلالته في مكانه. وقد خلصت الدراسة إلى مزيد معنى في لفظ ملجأ يتمثل فيما لا بُد منه للإنسان من أفعال، وخير مثال عليها حقيقة أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

Abstract

This study deals with the interpretation and analysis of the three verses of the Qur'an from the two chapters of repentance and Shura. The study was preceded by a preface and two sections, in which I explained these verses analytically or in general in accordance with the research. And the relationship of that in terms of refuge; and the use of the Koran alone -in these verses- which came in the Book of God from the synonym. In preparation for the statement of the specificity of this word in these verses, and its significance in place. The study concluded with more meaning in the word refuge, which is necessary for human actions, and a good example of the fact that there is no refuge from God but to him.

المقدمة.

الحمد لله التواب الرحيم، والصلاة والسلام على شفيع العالمين، وسيد الأولين والآخرين، وآله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد أوحى الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ القرآن الكريم وختم به الرسالات، وجعله هداية وذكرى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام: ٩٠] ومعجزة خالدة بفصاحته التي أقر بها بُلغاء العرب وفُصحائها، مثاله: ما ذكر بأن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه ﷺ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[النحل: ٩٠] قال: أعد. فأعاد النبي ﷺ. فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر[١]. ومثله كثير ليس هذا محل عرضه، إنما المقصد فيما لامس القلوب الجلف من لطف كلام العليم الخبير، فأزال أدراناً عن قلوب عشقت ووعت رسالة ربها.

* أستاذ مساعد، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

Published by Arab Journals Platform, 2020

كلام يظن الظان فيه بالترادف بين الكلم في القرآن الكريم؛ فالملجأ والكهف، أو اللهو واللعب، أو الرهبة والخوف ... سيان عنده اليوم بعد أفول شمس العربية لا فرق بينهما. لكن بتتبع كلام الله تعالى وآيه يتجلى الفرق ويظهر البون بينهما.

وقد تناولت في هذه الدراسة ثلاث آيات هي:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿**لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**﴾[٥٧: التوبة].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[١١٨: التوبة].

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾[٤٧: الشورى].

محاولاً بعون الله تعالى بيانها وتفسيرها بما يخدم الغاية من البحث وتخصيص لفظ ملجأ في محله دون غيره.

مشكلة البحث.

تتمثل مشكلة البحث في الأمور الآتية:

١- ما المراد بلفظ الملجأ في الآيات الثلاث؟

٢- ما سر انتخاب لفظ الملجأ في هذه الآيات الثلاث؟

٣- هل هناك علاقة بين اسم السورة ولفظ ملجأ؟

٤- هل هناك علاقة بين مكان نزول السورة ولفظ ملجأ؟

أهداف البحث.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١- الوقوف على المراد من لفظ ملجأ في الآيات الثلاث.

٢- تفسير الآيات الكريمة سابقة الذكر تحليلياً بما يخدم الدراسة.

٣- بيان الصلة بين الألفاظ القرآنية في السورة ومقاصدها، اسمها، وغيرها مما ستبرزه الدراسة.

منهج البحث.

اتبع الباحث في إعداد هذه الدراسة المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي: من خلال تتبع مواضع الآيات الكريمة في التفاسير المختلفة والكتب ذات الصلة.

٢- المنهج التحليلي: من خلال دراسة الآيات الكريمة من أمهات التفاسير، والرجوع إلى كتب اللغة وعلوم القرآن الكريم.

٣- المنهج الوصفي: المتمثل في إحصاء الآراء وعرضها.

٤- المنهج النقدي: من خلال إبداء الرأي ومناقشة الآراء التي ظهرت نتيجة المنهج التحليلي.

حدود الدراسة.

مقصد البحث هو دراسة لفظ ملجأ في الآيات الكريمة الثلاث لا الحديث عن معنى اللجوء من منظور قرآني، أو دراسة

أنواع اللجوء كاللجوء السياسي وغيره فلن أقف على هذه التفصيلات؛ لأنها ليست المقصودة من البحث.

الدراسات السابقة.

لم أجد بحدود اطلاعي أن أحداً من المؤلفين والباحثين القدامى أو المعاصرين تطرق لهذا الموضوع، وكل ما ورد من دراسات دار حول مفهوم اللجوء واللاجئين من ناحية قرآنية، أو الحديث حول اللجوء السياسي من وجهة نظر القرآن الكريم، وقد بينت في حدود الدراسة أن ليس هذا مجال هذه الدراسة.

خطة الدراسة.

جاءت هذه الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث، فخاتمة. وبيانها:

المبحث الأول: التعريف بمصطلح "الملجأ" والألفاظ ذات الصلة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى لجأ لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: لفظ ملجأ في سورة الشورى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الشورى.

المطلب الثاني: تفسير الآية، ومناسبة اللفظ للسورة الكريمة.

المبحث الثالث: لفظ ملجأ في سورة التوبة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة التوبة.

المطلب الثاني: تفسير الآيتين، ومناسبة اللفظ للسورة الكريمة.

أما الخاتمة، فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة.

المبحث الأول:
التعريف بمصطلح "الملجأ" والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الأول: معنى لجأ، لغة واصطلاحا.

أولاً: معنى لجأ لغةً.

بالرجوع لكتب ومعاجم اللغة والبحث في لفظ ملجأ وأصله واشتقاقه، علمت أني أحاكي لفظاً واسعاً بحبوحاً مختزلاً عدة وجوه ومعانٍ. فكان اشتقاقه من الفعل لَجَأَ يقال: " لَجَأَ إلى الشيء والمَكان؛ يَلْجَأُ لَجْأً ولُجُوءاً ومَلْجَأً ولَجِئَ لَجَأً والْتَجَأَ، وأَلْجأْتُ أَمْري إلى اللّه أَسْنَدتُ. وفي حديث كَعْب ﷺ: مَن دَخَل في ديوان المُسلِمِين ثمَ تَلجَّأَ منهم فقد خَرج من قُبَّة الإسْلامِ[٢]. يقال: لَجَأْتُ إلى فلان وعنه. والتَجَأْتُ وتَلجَّأْتُ إذا اسْتَنَدْتَ إليه واعْتَضَدْتَ به. أَو عَدَلْتَ عنه إلى غيره كأَنه إشارةٌ إلى الخُروج والانْفراد عن المسلمِين"[٣].

فبيَّن أن الرجل قد يلجأ ويستند في أمره إلى مكان يحتمي فيه فهو هنا (الملجأ)؛ أو شيء آخر كأن يكون رجلاً ذا

سلطة كمَلك أو سيد؛ أو درعاً أو أو جبلاً أو خلافه، ولربما يحتمي منه لا إليه خوفاً.

وهذا المعنى أول ما يتبادر إلى الذهن بكون الملجأ هو الحامية والسند؛ متمثلاً في سيد الخلق محمد ﷺ ومن جميل ما قيل فيه إنه ملجأ للمؤمنين:

"يا سَيدَ الخَلقِ يا مَنْ حازَ مرتبةً   عليا وقد جلَ عن شبهٍ وعن مثلِ

يا دُرةَ الأنبياءِ يا روضةَ العُلا   يا ملجأ الغُربِ يا سيدَ الرسلِ"(٤)

ومما علمنا الحبيب المصطفى اللجوء للمولى الحي القيوم حين موتتنا الصغرى، فلا نملك من أمرنا شيئاً؛ جاء في الصحيحين: "عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت. وبنبيك الذي أرسلت. فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت أجرا"(٥).

ومن معاني لجأ: اضطر. يقال: "ألجأته إلى كذا ولجّأته: أحرجته واضطررته. وفعل ذلك من غير إكراه ولا تلجئةٍ"(٦).

وخالفه غيره عندما أخبر أن في معنى لجأ إكراه وتلجئة. ومما جاء فيه قول الزبيدي: "قال أَبو الهَيْثَم: أَنْ يُلْجِئَك أَنْ تَأْتِيَ أَمراً ظاهرُه خِلاَفُ باطنه. وفي حديث النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ: هذه تَلْجِئَةٌ فأَشْهِدْ عَلَيْهِ غَيْرِي(٧). التَّلْجِئَةُ: تَفْعِلَةٌ من الإلجاءِ، كأَنه قد أَلْجَأَك إلى أَن تأْتيَ أَمراً باطنُه خِلافُ ظاهره، وأَحْوَجك إلى أَن تَفعل فِعْلاً تَكْرهُه"(٨).

فعند الزمخشري اللجوء كالاضطرار لا إكراه فيه وهو ما خالفه فيه الزبيدي، واستدل على ذلك الزمخشري بالقول إن التلجئة: جعل الرجل جزءاً من ماله لبعض الورثة دون الآخرين(٩)؛ وهنا لا إكراه في الأمر.

وفض الخلاف أبو هلال العسكري في الفرق بين الإلجاء والاضطرار فذكر مساوتهما عند أهل اللغة، ثم علق ونفى لاختلاف الأصل والصيغة في كليهما مما يترتب عليه اختلاف المعاني. ثم عرَّج على رأي المتكلمين ورفضه، إلى أن خرج بأن الاضطرار أخص من الإلجاء؛ لاشتراط زوال الاختيار في الاضطرار دون الإلجاء فقال: "والإجبار يستعمل في الإكراه والإلجاء يستعمل في فعل العبد على وجه لا يمكنه أن ينفك منه، والمكره من فعل ما ليس له إليه داع، وإنما يفعله خوف الضرر، والإلجاء ما تشتد دواعي الإنسان إليه على وجه لا يجوز أن يقع مع حصول تلك الدواعي، كقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾[البقرة: ١٢٦]، فإن أهل جهنم وإن كانوا في أنفسهم قادرين على الامتناع من دخولها إلا أنهم مكرهون على ذلك. والإلجاء: قد يكون بالاختيار لبقاء القدرة على الامتناع، كما لو انحصر علاج المريض بالعضد مثلاً، فإنه يقال: هو ملجأ إلى العضد(١٠)، مع أن قدرته على الامتناع عنه غير مسلوبة"(١١).

ثانياً: معنى لجأ اصطلاحاً.

وعرَّف ابن سيده الملجأ بأنه: كل ما لجأت إليه من مكان أو إنسان(١٢). وذكر الزبيدي بأنه اسم لمكان بين أريك والرِّجام، ثم أضاف بأنه واد أو جبل نجدي؛ وقيل: نوع من أنواع السلاحف(١٣).

وكل ما أورده العلماء مما سبق فيه معنى اللجوء والاعتصام والاستناد. فيُعرف الجبل منذ القدم كرمز للقوة والمنعة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[هود: ٤٣].

واتخاذ النبي ﷺ من جبل عينين مرمى يوم أُحد ليكافئ به قوة جيش قريش(١٤). واتخاذ الجبال على مر العصور مكاناً للحصون والقلاع المنيعة. ولربما جاءت تسمية السلحفاة بذلك بسبب قوقعتها فسميت ملجأ. تُلجئها عند الخوف من

عدو أو مفترس.

وذُكر في لجأ كذلك أنها الزوجة عند ابن منظور والزبيدي وسمياها اللَّجَأُ[١٥]. وقد يكون توجيه التسمية من خلال دلالة لفظ "زوج" على الاقتران والنوع؛ فإذا اقترنت المرأة بالرجل دلَّ ذلك على عدم الانفراد واستناد المرآة إلى الرجل ذلك أنها تلتجئ وتحتمي بزوجها.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

بتتبع آيات الكتاب الحكيم ومعاجم اللغة العربية ظهرت كلمات ذات صلة بلفظ ملجأ، منها:

١- الملتحد: يعني ملجأً بلغة هُذيل[١٦]. ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾**[الجن: ٢٢].

٢- وَزَر: كما في قوله تعالى: **﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾**[القيامة: ١١]. "قال أبو القاسم: هو الجبل والملجأ بالنبطية"[١٧].

٣- المَوئل: كما في قوله تعالى: **﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾**[الكهف: ٥٨] قيل: هو الملجأ[١٨]، بلغة كنانة[١٩].

٤- مَحيص: قال أبو بكر: المحيص معناه في كلام العرب الملجأ والمحيد، يقال: حَاصَ يَحيصُ حَيْصاً إذا عدل"[٢٠]. كما في قوله تعالى: **﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٢١][الشورى: ٣٥].

٥- المعقل: بمعنى ملجأ[٢٢]. "وفلان مَعْقِلٌ لقومه أَي مَلجأ. على المثل قال الكميت: لَقَدْ عَلِمَ القومُ أَنَّا لَهُمْ إِزاءٌ وأَنَّا لَهُمْ مَعْقِلُ"[٢٣].

٦- الحصن: هو كل موضع حصين لا يوصَل إلى ما يأتيه والجمع حُصون[٢٤]. ويقال: "لَجَأَ إلى الحصن وغيره (لَجْأً) مهموز من بابي نفع و تعب و(التَجَأَ) إليه اعتصم به والحصن (مَلْجَأٌ) بفتح الميم و الجيم و(أَلْجَأْتُهُ) إليه، و(لَجَّأْتُهُ) بالهمزة والتضعيف اضطررته وأكرهته"[٢٥]. ورد ذكره في قوله تعالى: **﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾** [الحشر: ٢].

٧- الكهف: ذكر هذا اللفظ في ست آيات[٢٦] في سورة سميت الكهف. وهو كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصّ الله شأنهم في هذه السورة[٢٧]. "والكَهْف كالمَغارة في الجبل إلا أنه أوسع منها فإذا صغر فهو غار. وفي الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل وجمعه كُهوف. وتكهَّف الجبلُ صارت فيه كُهوف. وتكهَّفتِ البئر صار فيها مثل ذلك. ويقال: فلان كَهْف فلان أَي: ملجأ. يقال: فلان كهفُ أَهل الرِّيَبِ إذا كانوا يَلُوذون به فيكون وزَراً ومَلْجأ لهم"[٢٨].

٨- العَوَذ والعياذ والمَعَاذ: كلها بمعنى الملجأ، "وروي عن النبي ﷺ أَنه تزوّج امرأة من العرب فلما أُدْخِلَتْ عليه قالت: أَعوذ بالله منك. فقال: لقد عُذْتِ بمعاذ فالحقي بأَهلك[٢٩]. والمَعَاذ في هذا الحديث الذي عَاذبه والمَعَاذ المصدر والمكان والزمان أَي: قد لجأْت إِلى ملجإٍ ولُذْتِ بِمَلاذ والله ﷻ معاذ من عاذ به وملجأُ من لجأَ إليه"[٣٠].

٩- الملاذ: من "المَلْذ: السُّرعة في المجيء والذهاب"[٣١]. قال الزبيدي: "واللَّجَأُ مُحَرَّكَةً: المَعْقِلُ والمَلاذُ كالمَلْجَإِ"[٣٢].

١٠- الثِمَال: هو الملجأ والغياث. قال أبو طالب في مدح النبي ﷺ:

وأبـيضٌ يستسـقى الغمـامُ بوجهـهِ ثِمَـالُ اليتـامى عِصـمةٌ للأرامـلِ[٣٣]

وفي معناه أيضاً لفظ: مَصاد[٣٤]، المُلتحج[٣٥]، المَحجا[٣٦]، الحَجا[٣٧]، الملحَص[٣٨]، المَعكِد[٣٩]، المَعصَر[٤٠]، الوعل[٤١]، المؤتضّا[٤٢]. بما يضيق المقام عن ذكره.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

المبحث الثاني:
لفظ ملجأ في سورة الشورى.

ورد لفظ ملجأ في سورة الشورى مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾[٤٧]؛ حيث كان سياق الآيات يدعو إلى الاستجابة لأمر الله تعالى بعد بيان حال الكفار عند العرض على النار، وبعدما تخلى عنهم ما عبدوا من دون الله تعالى فما كان لهم يومها ملجأ ولا منجا منه تعالى.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الشورى.

قبل الخوض في بيان معنى ودلالة لفظ ملجأ في سورة الشورى لا بُد من التعريف بها، وبيان محاورها الرئيسية التي دارت حولها الآيات بما يخدم الهدف من الدراسة للوصول لمعنى ملجأ في الآية الكريمة السابقة، مع العلم أنه قد ورد لفظ آخر في السورة وهو "محيص" في قوله تعالى: ﴿**وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾[٣٥] مما يستدعي التفريق بين اللفظين من خلال دلالة السياق والمعنى.

جاءت سورة الشورى في كتاب الله الحكيم في الجزء الخامس والعشرين، وهي سورة مكية؛ لهذا قدمتها في البحث على سورة التوبة المدنية، وترتيبها المصحفي اثنتان وأربعون.

ذكر الداني أنها مكية[٤٣] وكلمها ثماني مئة وست وستون، وحروفها ثلاثة آلاف وخمس مئة وثمانية وثمانون حرفاً[٤٤]، وعدد آياتها ثلاث وخمسون عند الكوفي[٤٥]. نزلت بعد سورة فصلت[٤٦].

عدَّ لها العلماء اسمين هما: الشورى و(حم عسق). وكما أخبر ابن عاشور في علة تسمية السور "أن أسماء السور إما أن تكون بأوصافها مثل الفاتحة، وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره نحو: سورة لقمان، وسورة يوسف، وسورة البقرة. وإما بالإضافة لما كان ذكره فيها أوفى نحو: سورة هود، وسورة إبراهيم. وإما بالإضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة، وسورة حم عسق، وسورة حم السجدة كما سماها بعض السلف، وسورة فاطر. وقد سموا مجموع السور المفتتحة بكلمة حم آل حم، وربما سموا السورتين بوصف واحد فقد سموا سورة الكافرون وسورة الإخلاص المقشقشتين"[٤٧].

ففي سورة الشورى اجتمع أمران؛ الأول: أنها ضمن مجموعة الحواميم فسميت حم عسق. والثاني: ورود لفظ الشورى؛ فسميت به وذلك في قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[٣٨].

أما مقاصد السورة فقد ذكر البقاعي أنها تهدف للاجتماع على الدين الذي أساسه الإيمان: ﴿**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾، وأم دعائمه الصلاة، وروح أمره الألفة بالمشاورة ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾، وأعظم نافع في ذلك الإنفاق والمؤاساة فيما في اليد والعفو والصفح عن المسيء ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[٤٣]، والإذعان للحق وإن صعب وشق ﴿**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾، وذلك كله الداعي إليه هذا الكتاب الذي هو روح جسد هذا الدين المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال، وشرائف الخلال بالصراط المستقيم ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾[٥٢-٥٣][٤٨].

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

ولعل الموضوع الذي يستحق أن يكون محوراً أساسياً للسورة الكريمة هو موضوع الوحي والرسالة **﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٣]، **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**[٧]، **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[٥١-٥٢]، والحروف المقطعة أول السورة خير دليل على ذلك؛ ففيها معنى التحدي بهذا الوحي السماوي **﴿حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[١-٣].

ثم كأن الموضوعات الأخرى دارت حوله وارتبطت به؛ لأن لا وجود لها قبل التبليغ وإنزال الوحي بالرسالات، وكون السورة مكية فقد ارتبطت بتقرير العقيدة والوحدانية؛ كبيان الله الواحد: **﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[٥] الرزَّاق: **﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[١٢] القادر: **﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٩] المُتصرف بالكون والبشر: **﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[١١] **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾**[٢٩] محيي الموتى: **﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى﴾** مالك يوم الدين: **﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**[١٨] مُرسل الرُسل: **﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[٥١] لا مثيل له ﷻ: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[١١] بالإضافة لبيان بعض صفات المؤمنين: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**[١٨] وجزاءهم: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾**[٢٢]. وصفات أهل الكفر: **﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٩] وبيان عاقبة كفرهم: **﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾**[١٦].

المطلب الثاني: تفسير الآية، ومناسبة اللفظ للسورة الكريمة.

جاءت الآية الكريمة بعد الحديث عن فريق المؤمنين وثنائه تعالى عليهم في قوله تعالى: **﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[٣٦-٤٠]، ثم ذكر حال ووَصف مَن أشرك بالله تعالى في الحياة الدنيا ومآلهم في الآخرة: **﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾[٤٢-٤٥] فناسب بعد عرض الخاتمتين وهذين الوصفين أن يأتي التحذير والتنبيه مرة أخرى، وتجديد الدعوة لهم لله الواحد الأحد قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله تعالى؛ فقال ﷻ: **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾**.

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حَذَّر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: **﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾** أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع"(٤٩).

فكانت الآية الكريمة خطاباً للكافرين للاستجابة لداعي الله تعالى وهم رسله -عليهم صلوات الله وسلامه- بعد تلقيهم الوحي الذي تحدثنا كونه المحور الرئيس في السورة الكريمة ذلك قبل أن يأتي **﴿يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾**.

وفي معنى الاستجابة قيل: " الاستجابةُ لله الوفاءُ بعهده، والقيامُ بحقِّه، والرجوعُ عن مخالفته إلى مرافقته، والاستسلام. في كل وقتٍ لحُكْمِه. والطريقُ اليومَ إلى الاستجابة مفتوحٌ. وعن قريبٍ سيُغْلَقُ البابُ على القلب بغتةً، ويُؤْخَذُ فلتةً"(٥٠).

"واللام في**{لربكم}** لِتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول مثل: حمِدتُ له وشكرتُ له. وتسمى لام التبليغ ولام التبيين. وأصله استجابهُ، قال كعب الغَنَوي(٥١):

وداعٍ دعَا يَا مَن يجيب إلى النِّدا فلم يستجبْه عند ذاك مجيب(٥٢)

ولعل أصله استجاب دعاءه له، أي لأجله له كما في قوله تعالى: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾**[الشرح: ١] فاختصر لكثرة الاستعمال فقالوا: استجاب له وشكر له"(٥٣).

فكان كمال الوعيد من الله تعالى لهم بدعوتهم للاستجابة ثم تخويفهم **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾** وقيل: إن هذا اليوم هو اليوم الآخر يوم القيامة وهو مما يدل عليه السياق فلا رجوع منه للدنيا وهو مقام حساب وجزاء تجزع منه النفس الجاحدة الكافرة بعدما تبين لها أنه الحق. وقيل: هو الموت؛ عندها الإنسان ينقطع عمله فلا مرد لإصلاح ما فات ثانية. وقيل: إنه يوم لا مرد فيه إلى حال التكليف ومحاولة النجاة بعد أن تكشف الحقيقة: **﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾**[٣٩-٤٠: النبأ]. فلا نجاة ولا منجا قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**[٩١: آل عمران]. ووصفهم في سورة الشورى: **﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾**[٤٥-٤٦](٥٤).

ثم ينفي الله تعالى عنهم يومئذٍ الملجأ فيقول سبحانه: **﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾**.

وفي بيان المقصود من الآية قال الإمام الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا **(وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)** يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به"(٥٥). وأورد ابن كثير "أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتكرون فيه، فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ منه إلا إليه، ﴿**يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**﴾[١٢: القيامة]"(٥٦).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

﴿**وَما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾ قيل: هو الناصر، وهو المُنكر، فلا تجدون مَن ينكر عذابكم يوم القيامة. وقيل: لا تستطيعون إلا الاعتراف بذنوبكم دون تتصل. كما لا تقدرون على تغيير ما يحل بكم من عذاب(٥٧).

وقد جيء في هذه الآية بلفظ (ملجأ) رغم أنه تبارك وتعالى قد أورد في السورة نفسها ألفاظاً قريبة المعنى لا بُد من الوقوف عليها؛ لبيان وقوع لفظ ملجأ في محله دون غيره وهي:

- حفيظ ووكيل في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾[٦].

"﴿**اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**﴾ أي: رقيب عليهم حافظ عليهم كل ما يعملونه من الكفر والمعاصي، وفي أوله اتخاذهم الأولياء، يعبدونهم من دون الله. وفي الآية تهديد عظيم لكل مشرك. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾، أي: لست يا محمد، بموكل عليهم تهدي من شئت هدايته منهم، بل إنما أنت نذير فحسب، وقد بلغت ونصحت. والوكيل عليهم هو الذي يهدي من يشاء منهم ويضل من يشاء كما قال تعالى: ﴿**إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[هود: ١٢](٥٨).

وفرَّق بينهما ابن عاشور فقال: "فهذا تسكين لحُزن الرسول ﷺ من أجل عدم إيمانهم بوحدانية الله تعالى. وهذه مقدمة لما سيُؤمر به الرسول ﷺ من الدعوة ابتداء من قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى**﴾[الشورى: ٧]، ثم قوله: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً**﴾[الشورى: ١٣] الآيات، ثم قوله: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ**﴾[الشورى: ١٥] وقوله: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾[الشورى: ٢٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ مبتدأ، وجملة ﴿**اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ**﴾ خبر عن ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾. والحفيظ: فعيل بمعنى فاعل، أي: حافظ، وتختلف معانيه ومرجعها إلى رعاية الشيء والعناية به: ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال المرقوب وأعماله، وباختلاف معانيه تختلف تعديته بنفسه أو بحرف جر يناسب المعنى، وقد عدي هنا بحرف "على" كما يعدى الوكيل لأنه بمعناه.

والوكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه عمل في شيء أو اقتضاء حق. يقال: وَكَله على كذا، ومنه الوكالة في التصرفات المالية والمخاصمة، ويكثر أن يستعمل كناية عن مراقبة أحوال الموكل عليه وأعماله. وقد استعمل **{حفيظ}** و**{وكيل}** هنا في استعمالهما الكنائي عن متقارب المعنى، فلذلك قد يفسر أهل اللغة أحد هذين اللفظين بما يقرب من تفسير اللفظ الآخر كتفسير المرادف بمرادفه وذلك تسامح. فعلى من يريد التفرقة بين اللفظين أن يرجع بهما إلى أصل مادتي "حفظ" و"وكل"، فمادة "حفظ" تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول، ومادة "وكل" تقتضي قيام الحدث بفاعل وتعديته إلى مفعول وتجاوزه من ذلك المفعول إلى شيء آخر وهو متعلق به، وبذلك كان فعل "حفظ" مفيداً بمجرد ذكر فاعله ومفعوله دون احتياج إلى متعلق آخر، بخلاف فعل "وكل"(٥٩).

فبان بكلام ابن عاشور الفرق بين حفيظ ووكيل، وبيّن الحكمة في ترك لفظ ملجأ في هذه الآية. فلا يتناسب المقام فيها عند الحديث عمن اتخذ مع الله الشريك والولي– فوجب حفظ عمله في صحف كي تكون حجة عليه يوم القيامة وهي هنا في معرض ذم لا مدح – مع اللجوء الذي هو طلب السند والحماية والمنعة القائم على الاعتقاد ابتداءً بأن الله تعالى هو وحده الإله الخالق المدبر مالك الملك، فلا يلجـأُ الإنسان إلا لمن اعتقد أنه لَجأ، ومَن أشرك فقد اتخذ من إلهه سنداً من دون الله تعالى. وقد خفف الله تعالى على نبيه ﷺ بنفي وكالته عليهم وجعلها خاصة به تبارك وتعالى.

- ولي ونصير في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[٨].

يؤكد الله تبارك وتعالى في هذه الآية على أن الكافرين لا ولي لهم ولا نصير تقريراً للآية السابقة، ثم يأتي بعدها الإقرار بأن الله تعالى هو وحده الولي مُحيي الموتى القادر على كل شيء قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٩].

"وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ قال ابن عباس –رضي اللهُ عَنْهُمَا–: على دين واحدٍ. وقال مقاتل: على ملة الإسلام، كقوله: ﴿**وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى**﴾[الأنعام: ٣٥] ﴿**وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾ أي: في دين الإسلام "**الظَّالِمُونَ**" الكافرون ﴿**مَا لَهُمْ مِّن وَلِيٍّ**﴾ يرفع عنهم العذاب "**وَلاَ نَصِير**" يمنعهم من النار، وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ أي: أنت لا تقدر أن تحملهم على الإيمان فلو شاء الله لفعله؛ لأنه أقدر منك، ولكنه جعل بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً"[٦٠].

والنصير في اللغة من نَصَرَ "والنَّصرُ إعانة المظلوم، نصَره على عدوّه ينصُره ونصَره ينصُره نصْراً ورجل ناصِر من قوم نُصَّار ونَصْر مثل: صاحب وصحْب وأَنصار، والنَّصِير النَّاصِر. قال تعالى: ﴿**نِعم المولى ونِعم النَّصير**﴾ وانْتَصَر الرجل إذا امتَنَع من ظالِمِه، قال الأَزهري: يكون الانْتِصَارَ من الظالم الانْتِصاف والانْتِقام وانْتَصَر منه انْتَقَم، وقد نصره ينصُره نصْراً إذا أَعانه على عدُوّه"[٦١].

والولي لغة من وَلي: "(ولي) في أَسماء الله تعالى: الوَلِيُّ هو الناصِرُ وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائمُ بها ومن أَسمائه ﷻ: الوالي وهو مالِكُ الأَشياء جميعها المُتَصَرِّفُ فيها. قال ابن الأَثير: وكأَن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي. ابن سيده: وَلِيَ الشيءَ ووَلِيَ عليه وِلايةً ووَلايةً، وقيل: الوِلاية الخُطة كالإمارة والوَلايةُ المصدر. ابن السكيت: الوِلاية بالكسر السلطان والوَلايةُ والولاية النُّصرة"[٦٢].

وفرَّق بينهما أبو هلال العسكري فقال: "الفرق بين الولي والنصير: أن الولاية قد تكون بإخلاص المودة، والنصر تكون بالمعونة والتقوية، وقد لا تمكن النصرة مع حصول الولاية"[٦٣].

لذلك نفى الله تعالى عنهم الولي والنصير يوم الجمع، ولم يستخدم لفظ ملجأ؛ لأن الحديث في الآية الكريمة إخبار من الله تعالى أنه لن يكون للكافرين ولياً ولا نصيراً أبداً، قال تعالى: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[١٦: غافر]، بينما اللجوء فيكون لمن طلبه وعلى لسان مَن يحتاج له سواء أكان الملجأ شخص أو مكان يحتمي فيه مما يخشى. وفي كلام أبي هلال العسكري الكفاية من حيث إن الولاية نصرة مع وجود متعلق نفسي مثاله المودة مما لا يشترط في النصرة وكون السورة الكريمة مكية النزول ناسب هذا حال قريش وقتها مما عُرف عندهم بالحلف بين القبائل وهو التعاون المشترك لحماية ديارهم وأموالهم، كما قد ينصر الإنسان مَن يظنه مادياً أو معنوياً مذنباً، وخير دليل على ذلك قوله ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"[٦٤]، وقد كانت هذه العبارة موجودة في الجاهلية ولكن الإسلام صحح المفهوم بأن جعل نُصرة الظالم منعه من الظلم لا إعانته على الظلم، وأمثلته كثيرة في الجاهلية متمثلة بالعصبية القبلية وما نتج عنها من نزاعات وحروب.

– المصير في قوله تعالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[١٥].

جاءت هذه الآية الكريمة بمعانٍ عظيمة، حتى أن كل جملة فيها تناسب آيات أخرى من أول السورة لآخرها، فتُرد عليها أو تُجملها أو تُبينها ...، فكأنما هي قلب السورة الذي ينبض في سائر آياتها، وقد افتتحت بأوامر للمصطفى ﷺ أولها الدعوة إلى ما أُنزل عليه من الوحي الذي هو محور السورة ومدارها الرئيس؛ قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ**

قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ثم الاستقامة على هذا الدين الذي وُصف في ختام السورة بأنه هو الصراط المستقيم قال تعالى: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾**[٥٢-٥٣]، فجمعت بين فواتح السورة وخواتيمها، ثم دعت إلى ترك الشرك وأهواء أهله، مع مطالبته تعالى بالإيمان بما أُنزل من كتب سابقة، دلالة على وحدة المصدر والمقصد في الدعوة للتوحيد، وأتبعه بوجوب العدل بين البشر بما يقرر حرية التدين في التشريع الإسلامي. ثم أقر وحدانية الربوبية وأردفها بالعمل الذي يبرز عقيدة صاحبه فيتميز المؤمن عن غيره **﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾**، كل هذا بلا مخاصمة بين الطرفين **﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا﴾**، ولكن الله تعالى وحده هو الذي يجمع الخلق يوم الدين فيكون إليه المآل **﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**.

وفي اللغة المصير: من صير الأمر، ويقال: للمَنزل الطيِّب مَصِيرٌ، ويقال: أَين مَصِيرُكم أَي: أَين منزلكم(٦٥). وقال صاحب الفروق: " والمصير: انقلاب الشيء إلى خلاف الحال التي هو عليها نحو: مصير الطين خزفاً، ولا يقال رجع الطين خزفاً؛ لأنه لم يكن قبل خزفاً"(٦٦).

فمجيء لفظ مصير في الآية الكريمة يتناسب مع السياق والمعنى وبعيد عن جوهر اللجوء؛ فالآيات السابقة جاءت للحديث عن أهل الكتاب وتفرقهم والشك الذي يعتريهم في دينهم هذا في الدنيا، ثم بيَّن تعالى أنه يجمعهم جميعاً يوم الجمع وإليه فقط يكون المصير، لا يحكم فيهم غيره تبارك وتعالى فكل آتيه معتقداً النجاة والفوز، ولكن منزلهم الأخير وتحولهم من حال الدنيا والعمل والكسب إلى دار العدل والجزاء لا يعلمه إلا الله تعالى فقط، فليس المحل هنا طلب لجوء وحصانة وإنما هو بيان من الله تعالى أنه لا حكم إلا حكمه في الجمع، والأمر على لسان المصطفى ﷺ إخبار منه تعالى عن مآلهم، فحال أهل الكفر لا يتناسب مع أن يلجئهم الله تعالى فليسوا أهلاً للنجاة والتحصن به ﷻ بعد أن أشركوا به فظهر المراد بترك لفظ ملجأ ومناسبة لفظ مصير.

- ولي ونصير في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[٣١]. سبق بيانه في الآية الثامنة.
- محيص في قوله تعالى: **﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٣٥].

ورد لفظ محيص في كتاب الله الحكيم في أربع آيات أخرى، هي:

١- قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾**[١٢١: النساء].

٢- قال تعالى: **﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٢١: إبراهيم].

٣- قال تعالى: **﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٤٨: فصلت].

٤- قال تعالى: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**[٣٦: ق].

جاء لفظ محيص في سورة إبراهيم وفصلت والشورى في معرض الحديث عن الأقوام السابقة بعد ذكر جملة من الأدلة الكونية على قدرته تبارك وتعالى في الكون، وجاءت في سورة ق بعد تذكيرهم بحال مَن سبقهم من الأقوام التي نالت ما عرفوا من العذاب للأخذ بالعبرة والإيمان بالرسالة، فبين لهم الحق تعالى الآيات وأقام عليهم الأدلة، فلما جحدوا بها وعلموا أن لا مفر منه إلا إليه وصف حالهم تلك بالحيص بما تحمل من دلالة الحيد والشرود عن الحق بعد معرفته، وجاءت آية النساء لتأكيد أن لا مأوى لهم إلا جهنم خالدين فيها فلا مهرب ولا محيص.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

ومحيص لغة من حيص وهو الحَيْدُ عن الشيء. ومَحيص: محيد ومَهْرَب، وحاص الفرس: عدل وحاد. وحاص عن الشر حاد عنه فسلم منه، والمَحِيص المهرب والمحيد(٦٧).

قال قطب في تفسيره للآية الكريمة: "لو شاء الله أن يقفهم أمام بأسه، ويوبق سفائنهم، وهم لا يملكون منها نجاة، وهكذا يشعرهم بأن ما يملكون من أعراض هذه الحياة الدنيا عرضة كله للذهاب، فلا ثبات ولا استقرار لشيء إلا الصلة الوثيقة بالله. ثم يخطو بهم خطوة أخرى، وهو يلفتهم إلى أن كل ما أتوه في هذه الأرض متاع موقوت في هذه الحياة الدنيا. وأن القيمة الباقية هي التي يدخرها الله في الآخرة للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. ويستطرد فيحدد صفة المؤمنين هؤلاء بما يميزهم ويفردهم أمة وحدهم ذات خصائص وسمات، قال تعالى: **﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[٣٦]"(٦٨).

بعد ما سبق من بيان تفسير الآية الكريمة، وبيان الفرق بين معنى ملجأ والألفاظ ذات الصلة في السورة الكريمة، والحكمة من استعمالها دون سواها، نلحظ العلاقة بين كون السورة مكية النزول ونفي الملجأ عن الكفار يوم القيامة؛ لأن الصفة العامة للقرآن المكي الحديث عن العقيدة من توحيد ووحي وهو الموضوع الرئيس في سورة الشورى، فناسب المقصد هنا بيان مآلهم المكافئ لإنكارهم بنفي الملجأ والمهرب عنهم في الآخرة. وفي مناسبة اسم السورة للفظ ملجأ فإن ملجأ المؤمن وحصنه الحصين يكون في التزام الشورى، ورأي الجماعة، وعدم التفرق في الرأي والصف، على كافة المستويات الفردية الشخصية، أو الجماعية؛ سواء في ذلك الشؤون: الاقتصادية، السياسية: الداخلية والخارجية، والدولية، وغيرها.

المبحث الثالث:
لفظ ملجأ في سورة التوبة.

ورد لفظ ملجأ في سورة التوبة مرتين: الأولى: في قوله تعالى: **﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[٥٧] والحديث فيها عن أهل النفاق.

والثانية: في قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[١١٨] والحديث فيها عن الثلاثة المخلفين عن النبي ﷺ في غزوة تبوك.

المطلب الأول: تعريف عام بسورة التوبة.

قبل الخوض في بيان معنى لفظ ملجأ في سورة التوبة لا بُد من التعريف بالسورة الكريمة، وبيان مقاصدها الرئيسية التي دارت حولها الآيات الكريمة بما يخدم الهدف من الدراسة للوصول لمعنى ملجأ في الآيتين الكريمتين.

"سورة التوبة مدنية ولا نظير لها في عددها. عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة التوبة؛ فقال: تلك الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى خشينا أن لا تدع أحداً(٦٩). وعن حذيفة قال: إنكم تسمون هذه السورة سورة التوبة وإنها سورة العذاب(٧٠)، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. وأهل المدينة يسمونها التوبة وأهل مكة الفاضحة. وكلمها ألفان وأربع مئة وسبع وتسعون كلمة. وحروفها عشرة آلاف وثماني مئة وسبعة وثمانون حرفاً. وهي مئة وتسع وعشرون آية في الكوفي وثلاثون في عدد الباقين"(٧١).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

وهي ثاني سورة في الجزء العاشر بعد الأنفال قبل يونس، والتاسعة في الترتيب المصحفي. ورد في سبب نزول السورة " في قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ﴾[١٠٦] نزلت في كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع أحد بني عمرو ابن عوف، وهلال بن أمية من بني واقف تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ الآية"(٧٢).

وفي قوله تعالى: "﴿لقد تاب الله على النبي﴾ الآيات روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها وآذن الناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله وفيه فأنزل الله توبتنا ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين﴾ إلى قوله: ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ قال: وفينا أنزل أيضاً: ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾"(٧٣).

ومن أسمائها ما أورده القرطبي عن سعيد بن جبير أنه قال: سألت ابن عباس –رضي الله عنهما– عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة ما زال ينزل: ومنهم ومنهم، حتى خفنا ألا تدع أحداً(٧٤). قال القشيري أبو نصر عبد الرحيم: هذه السورة نزلت في غزوة تبوك ونزلت بعدها. وفي أولها نبذ عهود الكفار إليهم. وفي السورة كشف أسرار المنافقين. وتسمى الفاضحة والبحوث(٧٥)؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وتسمى المبعثرة والبعثرة: البحث(٧٦).

وسميت كذلك المشقشقة، المنقرة، المثيرة، الحفارة، سورة العذاب، المخزية، المهلكة، المشردة، المدمدمة، المنكلة(٧٧). وأورد البخاري بأنها آخر سورة نزلت: "حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال: سمعت البراء ﷺ يقول: آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾. وآخر سورة نزلت براءة"(٧٨).

وقد تناسبت أسماء السورة مثل: المشقشقة والبحوث ... مع ذكر لفظ الملجأ ونفيه عن المنافقين ومكان نزول السورة كونها مدنية متأخرة، فلا ملجأ لأهل النفاق من دون الله تعالى؛ لأنها كشفت أوصافهم وشقت عما في قلوبهم من حقد للنبي ﷺ والصحابة ﷺ والمؤمنين كافة. بينما يتناسب اسم السورة (التوبة) في ذكر قصة الثلاثة المخلفين، ويقين المؤمن أنه لا ملجأ من الله تعالى إلا به وإليه، فكانت المدينة ملجأ للنبي ﷺ والصحابة المهاجرين الذي ينفي الخبث من منافقين ويهود ومشركين.

أما "مقصودها معاداة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع الداعي إلى الله في توحيده وأتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه، وأدل ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين فإنهم – لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم ﷺ للإعراض بالقلب – هجروا وأعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها بالتوبة، وهو يدل على البراءة؛ لأن البراءة منهم بهجرانهم حتى رد السلام كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على السبب وتسميتها براءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها"(٧٩).

وذكر ابن عاشور في مقصودها كذلك القول: افتتحت السورة كما تفتتح العهودُ وصكوك العقود بأدَلّ كلمة على الغرض الذي يراد منها كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثّقين: باع أو وكّل أو تزوّج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائِل والمواثيق ونحوها. وتنكير { براءة } تنكير التنويع، وهي مبتدأ، وسوغ الابتداء به لما في التنكير من معنى التنويع للإشارة إلى أنّ هذا النوع كاف في فهم المقصود. والمجروران في قوله: ﴿من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم﴾ في موضع الخبر؛ لأنّه المقصود من الفائِدة أي: البراءة صدرت من الله ورسوله. و{من} ابتدائية، و{إلى} للانتهاء. والمعنى: أنّ هذه براءة أصدرها الله بواسطة رسوله إبلاغاً إلى الذين عاهدتم من المشركين(٨٠).

وذكر في مناسبة أولها لآخر الأنفال وترتيبهما: "ولما كانت مناسبة أولها – الداعي إلى البراءة ممن يخشى نقضه – لآخر الأنفال المبين لمن يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران مع قصرها على النساء لمثل ذلك من المناسبة، فكان ما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرحاً لآخر الأنفال"(٨١).

بعد التعرف على سورة براءة، ومقاصدها، وأسمائها، مع علمنا بمدنيتها ونزولها متأخراً؛ لتكشف صفات أهل النفاق وتتكل بهم وتبعثر ما في صدورهم، خاصة بعد أحداث غزوة تبوك، ذكر فيها ﷻ آيتين فيهما لفظ ملجأ رغم كونها سورة البراءة والعذاب. فما علاقة اللجوء بالتوبة؟ هذا ما سيتوضح من خلال تفسير الآيتين الكريمتين.

المطلب الثاني: تفسير الآيتين، ومناسبة اللفظ للسورة الكريمة.

جاء قوله تعالى: **﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[٥٦-٥٧] في سياق الحديث عن أهل النفاق، وكرههم الخروج مع النبي ﷺ والمؤمنين للقتال، فتنقل لنا صورة عن سوء أخلاقهم، وعظيم كفرهم، وضعفهم في حلفهم الأيمان الكاذبة بأنهم من المؤمنين؛ ونفيه تعالى ذلك ووصفهم بأنهم قوم يخافون، بما يدل على جُبنهم ونفاقهم، حتى كأنهم طلبوا الملاجئ والمغارات والمخارج للفرار، ونقلت لنا الآية الكريمة صورتهم بلفظ يجمحون بمعنى السرعة كما تفعل الخيل اذا أسرعت مع الخوف فإنها تجمح وتتخبط.

في قوله تعالى: **﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾** "**(لَمِنكُمْ)** لمن جملة المسلمين **(يَفْرَقُونَ)** يخافون القتل وما يفعل بالمشركين، فيتظاهرون بالإسلام تقية. **(مَلْجَئاً)** مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة **(أَوْ مَغَارَاتٍ)** أو غيراناً. وقرىء بضم الميم(٨٢)؛ من أغار الرجل، وغار إذا دخل الغور. وقيل: هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا، يعني: أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم. ويجوز أن يكون من: أغار الثعلب، إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار. **(أَوْ مُدَّخَلاً)** أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون، وهو مفتعل من الدخول. وقرىء مدخلاً من دخل ومدخلاً من أدخل: مكاناً يدخلون فيه أنفسهم. وقرأ أبيّ ابن كعب ﷺ: متدخلاً. وقرىء: لو ألوا إليه، لإلتجئوا إليه. **(يَجْمَحُونَ)** يسرعون إسراعاً لا يردّهم شيء؛ من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يردّه اللجام"(٨٣).

فإنهم يريدون بأيمانهم إرضاء المؤمنين، وإن الله ورسوله أحق بالإرضاء، وهو قوله: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾**[٦٢]، فيحلفون تلك الأيمان ليرضى عنهم المؤمنون، وأنهم إن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عنهم، وبيَّن في موضع آخر أنهم يحلفون لهم ليرضوا عنهم، بسبب أن لهم عذراً صحيحاً، وأن الله أمرهم بالإعراض عنهم، لا لأن لهم عذراً صحيحاً؛ بل مع الإعلام بأنهم رجس، ومأواهم النار بسبب ما كسبوا من النفاق وهو قوله تعالى: **﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٩٥]. وبيَّن في موضع آخر: أنَّ أيمانهم الكاذبة سبب لإهلاكهم أنفسهم وهو قوله: **﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾**[٤٢] وهذه الأسباب لحلف المنافقين التي ذكرت في هذه الآيات راجعة جميعاً إلى السبب الأول الذي هو الخوف؛ لأن خوفهم من المؤمنين هو سبب رغبتهم في إرضائهم، وإعراضهم عنهم بأن لا يؤذوهم،

ولذا حلفوا لهم ليرضوهم، وليعرضوا عنهم خوفاً من أذاهم(٨٤).

فكانت نتيجة خوفهم فرارهم وبحثهم عن ملجأ للاعتصام به –فلا مُلتجأ إلا من خوف أو ضعف– وتحتمل كل ما هو على الأرض كالحصون والقلاع، أو مغارات يتوارون فيها ممن يخشون ومثلها الكهوف في الجبال، أو مُدخلاً لينصرفوا فيه بسرعة ممزوجة بخوف يحثها وهو الخندق والسرب في الأرض؛ وثلاثتها لا تصلح لعيش. كل ذلك دلالة على ضيقهم ورغبتهم في الابتعاد واللجوء عن النبي ﷺ وصحبه. فالمقصد من لفظ ملجأ هنا المكان الذي يتوارى فيه مَن يخشى على نفسه الهلاك، فلا يريدون هنا نصيراً ولا حافظاً لعلمهم أن لا نصير ولا مولى من دون الله تعالى وعاقبتهم النار خالدين فيها كما أخبر تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾**[٦٣-٦٤: التوبة] فإن كان مأوى المنافقين صدورهم التي حملت نفاقهم فلا يعلمه إلا العليم الخبير، فقد جاءت الآيات لتكشف سترهم وما ضمرت نفوسهم، بنزول هذه السورة الكريمة مما ينفي عنهم أيضاً الملجأ المعنوي بعد تأكيد نفي الملجأ المادي، فإن أضمرت أنفسهم الشر في صدورهم كشفه المولى بهذه السورة فلا ملجأ ولا منجا منه القوي العزيز إلا إليه وهذا ما يقودنا إلى الآية الكريمة الثانية.

الآية الكريمة الثانية الوارد فيها لفظ ملجأ هي قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[١١٨].

الخطاب في هذه الآية الكريمة لثلاثة من المؤمنين الذين خلفوا عن اللحاق بالنبي ﷺ في يوم العسرة على خلاف الآية السابقة التي خاطبت المنافقين. والسياق واضح الدلالة بين الآيتين؛ ففي الآية الأولى: بيان أن لا ملجأ ولا مدخل ولا مغارات للمنافقين المنكرين من دون الله تعالى، ففيه العبرة والعظة لمن تُسول له نفسه اللجوء لغير المولى –تبارك وتعالى–. وفي الآية الثانية: إخبار الله تعالى عن المخلفين أنهم على يقين أن لا ملجأ من دون الله تعالى إلا إليه، وبيان أثر هذا التخلف على حالتهم النفسية بما اعتدنا أن يخبرنا القرآن الكريم عنه دون سائر الكتب في السيرة مما يُمثل ميزة خاصة للقرآن الكريم وهو كلام علّام الغيوب المطلع على السر والعلن، فكأنما الأرض على رحابتها قد ضاقت عليهم، فإذا لجأوا إلى أنفسهم لعلها تبرر لهم ذنبهم يجدونها مأسورة ضيقة جزاء مخالفتهم لأمر النبي ﷺ في النفير العام، فما كان منهم إلا لجوء المؤمن الصادق لملجئه الحق لربه تعالى الرحمن الرحيم.

"قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: نزلت هذه الآية في كعب بن مالك(٨٥) ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية(٨٦)، فقال كعب: أنا أفره أهل المدينة جملاً فمتى شئت لحقت الرسول ﷺ، فتأخر أياماً وآيس بعدها من اللحوق به، فندم على صنيعه وكذلك صاحباه، فلما قدم رسول الله ﷺ قيل لكعب: اعتذر إليه من صنيعك، فقال: لا والله حتى تنزل توبتي، وأما صاحباه فاعتذرا إليه ﷺ فقال: "ما خلفكم عني" فقالا: لا عذر لنا إلا الخطيئة فنزل قوله تعالى: **﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لامْرِ اللَّهِ﴾** فوقفهم الرسول ﷺ بعد نزول هذه الآية، ونهى الناس عن مجالستهم، وأمرهم باعتزال نسائهم وإرسالهن إلى أهاليهن، فجاءت امرأة هلال تسأل أن تأتيه بطعام فإنه شيخ كبير، فأذن لها في ذلك خاصة، وجاء رسول من الشام إلى كعب يرغبه في اللحاق بهم، فقال كعب: بلغ من خطيئتي أن طمع فيَّ المشركون، قال: فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت. وبكى هلال بن أمية حتى خيف على بصره، فلما مضى خمسون يوماً نزلت توبتهم بقوله: **﴿لَّقَد**

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

تَّابَ اللَّـهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾[التوبة: ١١٧] وبقوله تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾**[التوبة: ١١٨] الآية. وقال الحسن: يعني بقوله: **﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّـهِ﴾** قوماً من المنافقين أرجأهم رسول الله عن حضرته. وقال الأصم: يعني المنافقين وهو مثل قوله: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾** أرجأهم الله فلم يخبر عنهم ما علمه منهم، وحذرهم بهذه الآية إن لم يتوبوا أن ينزل فيهم قرآناً. فقال الله تعالى: **﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾**"[٨٧].

فنزلت توبتهم لما علم منهم تعالى صدق الأوب واللجوء إليه، ولما أيقنوا أن لا ملجأ ولا مفر بعد أن ضاقت عليهم الدنيا بما وسعت فقوطعوا حتى في الأسواق التي تعج بالناس فلا أحد يرد عليهم السلام، ولا زوجة إن رد إلى البيت تؤنسه في هذه الغربة، حتى كأن نفسه ملئت وحشة ووحدة وغماً، فلا جليس ولا مؤنس ما يزيد على خمسين ليلة. إنه موقف والله عظيم على النفس البشرية التي جبلت على الاجتماعية والمخالطة، وامتحان شديد، لكي يعلموا أن لا ملجأ من الله تعالى إلا إليه تعالى؛ فهو المهرب والمدخل والمنجا، فلا تطمئن الأنفس إلا بقربه ولا تسكن الأرواح إلا بالتضرع والتذلل له وحده دون سائر الأسباب. هنا في هذا الموطن تتنزل رحمته تعالى عليهم بعد أن أعلن قبلها أن لا مولى ولا نصير من دون الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[١١٦]، وجاء أمره تعالى بعدها بالتزام التقوى والصدق لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[١١٩] وألا ينوء الواحد منهم بنفسه دون رسول الله ﷺ ويرغبوا بأنفسهم عنه عليه الصلاة والسلام، مع بيان منزلة مَن أطاع واتبع النبي ﷺ وما له من الأجر والثواب؛ قال تعالى: **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[١٢٠-١٢١].

ومن جميل ما ذكر في هذه الآية ما أورده البقاعي في نظم الدرر بأن الله قد تاب (على الثلاثة الذين خلفوا)، فكان الخلع للقلوب مطلق التخليف أي: خلفهم رسول الله ﷺ بالهجران ونهى الناس عن كلامهم، وأخر الحكم فيهم ليأتي أمر الله في بيان أمرهم واستمر تخليفهم (حتى إذا ضاقت) أشار إلى عظيم الأمر بأداة الاستعلاء فقال: (عليهم الأرض) أي: كلها (بما رحبت) ولما كان هذا قد يراد به الحقيقة، وكان ضيق المحل قد لا يستلزم الصدر، أتبعه الدلالة على أن المراد المجاز فقال: (وضاقت عليهم أنفسهم) بالهَم والغم المقلق من شدة ما لاقوا من الهجران؛ ولما كان ذلك لا يقتضي التوبة إلا بالمراقبة، أتبعه ذلك للتخلف بها قوله: (وظنوا) أي: أيقنوا، ولعله عبر بالظن إيذان بأنهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر على حال فكان يقينهم لشدة الخواطر كأنه ظن، أو يقال: إن التعبير به عن يقين المخلصين إشارة إلى أن أعلى اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه أن لا يقدر أحد ان يُقدر لله حق قدره – كما قال أصدق الخلق ﷺ (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)[٨٨] وهذا من النفائس فاستعمله في أمثاله (إلا إليه) أي: بما يرضيه، وهو مَثَل لتحيرهم في أمرهم، وجواب (إذا) محذوف دل عليه صدر الكلام تقديره: تداركهم بالتوبة فردهم إلى ما كانوا عليه قبل مواقعة الذنب. ولما كان ما عملوه من التخلف عن أمر الرسول ﷺ عظيماً بمجرد المخالفة ثم يترك المواساة ثم بالرغبة عنه ﷺ ثم بأمور عظيمة شديدة القبح وخيمة فكان يبعد معه الزيادة عن رتبة التوبة، أعلم سبحانه أنه رقاهم في رتب الكمال بأن جعل ذلك سبباً لتطهيرهم من جميع الأدناس وتنقيتهم من سائر الأردان المقتضي لمزيد القرب بالعروج في مصاعد المعارف، أتبع ذلك سبحانه الإعلام به بقوله –مشيراً إلى ما بعده لولا فضل الله – بأداة الاستبعاد: (ثم تاب عليهم) أي: رجع بهم بعد التوبة إلى مقام من مقامات سلامة

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

الفطرة الذي هو أحسن تقويم يعلو لعلوه بالنسبة إلى ما دونه توبة (ليتوبوا) أي: ليرجعوا إلى ما تقتضيه الفطرة الأولى من الثبات على ما كانوا عليه من الإحسان في الدين والتخلق بأخلاق السابقين، ولعله عبر بالظن موضع العلم إشارة إلى أنه يكفي في الخوف من جلاله للانقطاع إليه مجرد الظن بأنه لا سبب إليه إلا منه؛ لأنه محيط بكل شيء لا يعجزه شيء، ويمكن أن يكون التعبير (ثم) إشارة إلى عظيم ما قاسوا من الأهوال وما تراقبوا إليه من مراتب الخوف، وامتنان عليهم بالتوبة من عظيم ما ارتكبوا، إنما خصوا عن رفائقهم بأن أرجئوا لأمر الله لعلو مقامهم بما لهم من السابقة ورسوخ القدم في الإسلام، فالمخالفة اليسيرة منهم أعظم من الكثير من غيرهم لأنهم أئمة الهدى ومصابيح الظلم، ومن هذا البارق حسنات الأبرار سيئات المقربين[٨٩]. فقد علموا أن أمر التوبة موكول إلى مالك الملك لا إلى غيره فلا ملجأ منه إلا إليه.

وقد جيء في هذه السورة الكريمة بلفظ (ملجأ) في الآيتين الكريمتين رغم أنه تبارك وتعالى قد أورد في السورة ألفاظاً قريبة المعنى لا بُد من الوقوف عليها لبيان وقوع لفظ ملجأ في محله دون غيره، بحيث سأُفَصل في الألفاظ التي لم تذكر في آية الشورى؛ تجنباً للتكرار بعد أن أعرج سريعاً على (الولي والنصير) في الآيتين التاليتين: **﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[٧٤]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[١١٦] ولفظ (المصير) في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٧٣].

ففي خطاب المنافقين والكفار وصف لهم الله تعالى المصير بأنه جهنم والعياذ بالله بعد كشف كفرهم ونفاقهم، ثم نفى عنهم الولي والنصير بما يناسب جنس عملهم فلا ملجأ ولا مهرب منه تعالى فمصيرهم الذي يؤولون إليه جهنم خالدين فيها: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[٧٣-٧٤] فقد "أمر تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة. وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف، سيف للمشركين: **﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾** (التوبة:٥) وسيف للكفار أهل الكتاب: **﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[التوبة: ٢٩] وسيف للمنافقين: **﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾**[التوبة: ٧٣، التحريم: ٩] وسيف للبغاة: **﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾** [الحجرات: ٩]"[٩٠]. لأن الانتصار لا يكون إلا من عدو، والولاية لمن نحب وكلاهما معدوم في الفئتين مما أغنى عنه الموضع الأول في سورة الشورى. فالمصير جزاء وحال يستحقه المرء وجزاؤهم وحالهم إلى جهنم.

ومثله في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾** [١١٦]، قال ابن عاشور: "تذييل ثان في قوة التأكيد لقوله: **﴿إن الله بكل شيء عليم﴾**[التوبة: ١١٥]، ولذلك فُصل دون عطف؛ لأن ثبوت ملك السماوات والأرض لله تعالى يقتضي أن يكون عليماً بكل شيء؛ لأن تخلف العلم عن

التعلق ببعض المتملكات يفضي إلى إضاعة شؤونها. والملك: التصرف والتدبير، وزيادة جملتي: ﴿**يحيي ويميت**﴾ لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره. وعطف جملة: ﴿**وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**﴾ لتأييد المسلمين بأنهم منصورون في سائر الأحوال؛ لأن الله وليهم فهو نصير لهم، ولإعْلامهم بأنهم لا يخشون الكفار لأن الكافرين لا مولى لهم؛ لأن الله غاضب عليهم فهو لا ينصرهم. وذلك مناسب لغرض الكلام المتعلق باستغفارهم للمشركين بأنه لا يفيدهم. والنصير: الناصر"[٩١].

ومما ورد من ألفاظ ذات صلة بلفظ (ملجأ) في سورة التوبة:

– المأمن في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٦].

والمعنى: "إن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقبلهم استجارك أي: استعاذ بك واستأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم؛ ليسمع كلام الله (فَأَجِرْهُ) فأعذه وأمنه (حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ)، فتقيم عليه حجة الله، وتبين له دين الله ﷻ، فإن أسلم فقد نال عز الإسلام وخير الدنيا والآخرة، وصار رجلاً من المسلمين، وإن أبى أن يسلم (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأمَنَهُ) دار قومه فإن قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) دين الله وتوحيده"[٩٢].

فالآية الكريمة في سياق الحديث عن الكفار وإقامة الحجة عليهم، حتى يسمعوا كلام الله تعالى ويفهموا الإسلام، فإن كان الرجل بعيداً عن أهله، فله حق الأمان في ماله ونفسه حتى يصل إليهم.

وفي اللغة المأمن من أَمِنَ بمعنى: الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ. وآمَنْتُ غيري من الأَمْن. والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف. والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة. والإيمانُ ضدُّ الكفر. واسْتأْمَنَ إليه: دخل في أَمانِه. وقد أَمَّنَه وآمَنَه، والمَأْمَنُ: موضعُ الأَمْنِ، والأمنُ المستجيرُ ليَأْمَنَ على نفسه[٩٣].

فجاء التعبير هنا بلفظ مأمن لا ملجأ؛ لأنه طلب أمان من مخالف من جنسه قد يقدر عليه في كرة ثانية، فهو مثل الاضطرار ما لا يستطيع الإنسان الامتناع عنه لسبب موجب لذلك وهو الخوف على حياته، رغم بقاء القدرة على الامتناع في ذاته. بينما الملجأ فالأصل فيه اللجوء بالنفس لا بالواسطة لمن يُرى أنه صاحب مكانة وحصانة، ويكون فيما لا يجد الإنسان منه بداً من أفعال نفسه مثل: أكل الميتة عند شدة الجوع، ومثل العَدو على الشَوك عند مخافة السبع فيقال: إنه مُلجأ إلى ذلك، أي: أنه يمتلك القدرة على الامتناع فالفرق واضح.

– الغار في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٤٠].

تكاد هذه الآية الكريمة لا تحتاج عظيم بيان في التفريق بين لفظ ملجأ والتعبير بالغار؛ لأنه وصف للمكان الذي لجأ إليه المصطفى ﷺ وصاحبه في الهجرة على الحقيقة، وفي اللغة الغار هو: "مَغارةٌ في الجبل كالسَّرْب، وقيل: الغارُ كالكَهْف في الجبل والجمع الغِيرانُ. وقال اللحياني: هو شِبْهُ البيت فيه. وقال ثعلب: هو المنخفض في الجبل وكل مطمئن من الأَرض"[٩٤].

كما أنهما خرجا بنصر وعناية منه تبارك وتعالى كما أخبرت أول الآية الكريمة: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾ فلا حاجة لنصركم فإن الله ناصره ومنزل عليه سكينة وجنوداً لم تروها، كل هذا يتوافق مع الطمأنينة في هذا الغار الذي يتناسب

وشكل الحماية من حيث حجمه وانخفاضه عن أعينهم.

– مدخل في قوله تعالى: **﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[٥٧].

سبق بيان وتفسير الآية الكريمة، والتفصيل في معنى ملجأ، ومغارات من الغور فهي كالغار. أما لفظ مدخل لغة فهو من دَخَلَ: "والدُّخُول نقيض الخروج. دَخَل يَدْخُل دُخُولاً وتَدَخَّل ودَخَل به، والمَدْخَل بالفتح الدُّخول وموضع الدُّخول أَيضاً. تقول دَخَلْتُ مَدْخَلاً حسناً ودَخَلْتُ مَدْخَلَ صِدْقٍ والمُدْخَل بضم الميم الإِدْخال والمفعول من أَدْخَله تقول: أَدْخَلْته مُدْخَلَ صِدْقٍ. والمُدَّخَل: شبه الغار يُدْخَل فيه. وهو مُفْتَعَل من الدُّخول"(٩٥).

والآية الكريمة في أهل الكفر والنفاق واصفة حالهم عند الخوف من النبي ﷺ بحيث لا يجدون حولهم ما يحميهم أو يلجئهم من النبي ﷺ وصحبه –رضوان الله عليهم– سواء كان هذا المفر فوق الأرض (ملجأ)، أو تحته (مدخل)، أو بمستواه (مغارات) فكأنما لا ملجأ لهم من دون الله تعالى.

– مأوى في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾**[٧٣]. وقوله تعالى: **﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٩٥].

جاءت الآيتان الكريمتان في سياق الحديث عن المنافقين والمشركين للتأكيد على أن مأواهم ومقامهم الأخير هو في جهنم لما تقدم القول فيه من أسباب. والمأوى في اللغة: من "(أوا) أَوَيْتُ مَنْزلي وإِلى منزلي أُوِيّاً وإِوِيّاً وأَوَّيْتُ وتأَوَّيْتُ وأْتَوَيْتُ كله عُدْتُ، ومن العرب من يقول: أَوَيْتُ فلاناً إِذا أَنزلته بك، قال ابن الأَثير: هذا كله من أَوَى يَأْوِي. يقال: أَوَيْتُ إِلى المنزل وأَوَيْتُ غيري وآويْتُه. وأَنكر بعضهم المقصور المتعدّي. وقال الأَزهري: هي لغة فصيحة ومن المقصور اللازم الحديثُ الآخر أَما أَحدُهم فأَوَى إِلى الله أَي: رجع إِليه. ومن الممدود حديثُ الدعاء الحمد لله الذي كفانا وآوانا أَي ردَّنا إِلى مأْوىً لنا ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم، والمأْوَى المنزلُ، قال الجوهري: المَأْوَى كل مكان يأْوِي إِليه شيء ليلاً أَو نهاراً"(٩٦).

فالله ﷻ يذكر مآلهم وخاتمتهم ومنزلهم الذي ينزلونه في الآخرة، مع أن جهنم ليست مما يدخل حقيقة في معنى (منزل) لانعدام وسائل الراحة والسكينة والأهل، إلا أن المراد منها استعارة الحالة من حيث المكوث والمقام فيها دون غيرها، فجهنم مآلهم ومأواهم الذي كُتب عليهم فلا فرار منه. أما لفظ ملجأ فيحمل في ثناياه القدرة على الامتناع.

قال ابن عاشور في الفرق بين مأوى ومصير: والمأوى ما يأوي إليه المرء من المكان، أي: يرجع إليه. والمصير المكان الذي يصير إليه المرء، أي: يرجع فالاختلاف بينه وبين المأوى بالاعتبار، والجمع بينهما هنا تفنّن(٩٧).

بعد ما سبق من بيان تفسير الآيتين الكريمتين، وبيان الفرق بين معنى ملجأ فيهما والألفاظ ذات الصلة في السورة الكريمة، والحكمة من استعمالها دون سواها، نلحظ العلاقة بين كون السورة مدنية متأخرة النزول، ونفي الملجأ عن المنافقين في الدنيا بوصفه اسم مكان في قوله تعالى: **﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾**[٥٧] فالأرض بما رحبت ليس لهم فيها ملجأ من دون الله تعالى، فكما أخفوا في صدورهم كفرهم ونفاقهم أظهره المولى تبارك وتعالى وكشف سترهم فلا ملجأ منه تعالى إلا إليه، وهذا بما يتناسب مع موضوع السورة ومقصدها من معاداة أهل الباطل من الكفار؛ والمنافقين خاصة، فلا ولي ولا نصير لهم من دون الله تعالى، ولم تؤمنهم حصونهم ولا عددهم وعتادهم.

وفي المقابل الفئة المؤمنة التي أقرت وأيقنت أن الملجأ هو الله تعالى وحده، قال تعالى: **﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١١٨]، فهذه الآية الكريمة التي تظهر ما أبطنه المؤمنون– الذين خلفوا عن النبي ﷺ– في أنفسهم من ندم وحسرة فاعتراف بالذنب، حتى كأن ذنبه يأسره في نفسه– على خلاف أهل النفاق – فما كان منهم إلا اليقين بأن لا مفر ولا ملجأ من الله تعالى إلا إليه؛ يقيناً لا يساوره شك ولا يخالطه نفاق، عندها جاءت توبة الله تعالى عليهم بعد هذا الابتلاء والامتحان لتنقيتهم وإعادتهم إلى الفطرة الأولى؛ وهم أهل بدر وصحب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وختمت الآية بوصفه تعالى أنه التواب الرحيم، فكان ملجأهم؛ إذا تحصنوا فيه نالوا التوبة والرحمة، فمن ملجئه الله تاب عليه وأدخله في رحمته.

الخاتمة.

بعد حمد الله تعالى على ما أنعم علَّي وفضَّل مما لا أُحصي له عدداً فقد توصلت الدراسة إلى **النتائج** الآتية:

١- الملجأ في الأعراف البشرية: المهرب والحصن مما يخشاه الإنسان من مُغر وكهوف وحصون وملاجئ تحت الأرض وفوقها، وتشعبت أسماؤها اليوم لكثرتها.

٢- ارتبط لفظ ملجأ في سورة الشورى مع كون السورة مكية النزول بمحور السورة الرئيس؛ وهو الإيمان بالوحي. ونفي الملجأ عن المشركين من دون الله تعالى في الدارين؛ إن تركوا الإيمان بالله تعالى، فلا مولى لهم من دونه تبارك وتعالى، وهذا مما يتناسب وطبيعة القرآن المكي في ترسيخ العقيدة في النفوس.

٣- ارتبط لفظ ملجأ مع سورة " براءة " مع كون السورة مدنية بالحديث عن أهل النفاق، وبيان أوصافهم، وسعيهم في الفرار من الحق، وتخبطهم في الحياة، وأن لا ملجأ لهم من عذاب الله تعالى، وهذا مما يتناسب وطبيعة القرآن المدني.

٤- ارتبط لفظ ملجأ مع اسم السورة "براءة" وهو نفي: الملجأ والنجاة والتحصن بغير الله تعالى، وهو مما يتناسب وحال المنافقين في المدينة.

٥- ارتبط لفظ ملجأ مع اسم السورة " التوبة " ببيان حقيقة المؤمن عند الابتلاء بلجوئه لله تعالى، وإيمانه بأن لا مفر ولا ملجأ من الله تعالى إلا بالعودة إليه والوقوف ببابه. فكانت السورة الأمان والحصن الذي نزلت فيه توبة الله تعالى عن المخلفين الذين صدقوا الله ورسوله.

٦- دقة الخطاب القرآني في عرض الألفاظ بما يتناسب ووصف حال المُخبر عنهم.

٧- من أسباب التطهير والابتلاء عظم أثر المعصية على قلب المؤمن حتى يأسره ذنبه، فيُدرك أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

توصيات الدراسة.

توصلت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

١- حث طلبة العلم في الدراسات العليا على دراسة موضوع البحث، والتوسع فيه بما يتناسب وواقع الحال اليوم.

٢- توجيه طلبة العلم الشرعي – بتخصصاته– والتربوي إلى دراسة جوانب اللجوء بأبعادها المختلفة، وإبراز أثر التربية الروحية، وتهذيب النفس، واستشعار الرقابة الذاتية على التصرفات البشرية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

الهوامش.

(١) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، **المستدرك على الصحيحين**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، حديث رقم ٣٨٧٢، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، (٥٥٠/ ٢).

(٢) لم أقف على تخريج لهذا الأثر في كتب الحديث والرجال.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (١/ ١٥٢).

(٤) الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، دار المحبة، بيروت، دمشق، ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م، تحقيق: عبد الرحيم ماريديني، (٢/ ٣٥٨). وقد أورد الصفوري هذه الأبيات في كتابه ضمن قصيدة طويلة دون ذكر اسم الشاعر –ولعلها تكون له– ولم أقف على اسم الشاعر في كتب ودواوين الشعر إلا ما يُنسب فيها من النقل عن الصفوري وهو: عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعي، (ت ٨٩٤هـ–١٤٨٩م) مؤرخ أديب من أهل مكة. نسبته إلى صفورية في الأردن. من كتبه (المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة – خ) في الظاهرية (٢٢٩ ورقة) و(نزهة المجالس، ومنتخب النفائس – ط) وكتاب (الصيام – خ) في الأزهرية، و (صلاح الأرواح والطريق إلى دار الفلاح – خ) فقه، في البصرة (العباسية). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٣١٠/٣).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، (ط٣)، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (٢٧٢٢/٦)، حديث رقم: ٧٠٥٠، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ**﴾[نساء: ١٦٦]. ينظر: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي،(٢٠٨١/٤)، حديث رقم: ٢٧١٠، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٦) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م، (٣٢٤/٢).

(٧) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مسند النساء، باب العين: عمرة بنت رواحة، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (ط٢)، ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٣م، (٢٤/ ٣٣٨)، حديث رقم ٨٤٥.

(٨) الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٤٢١/١).

(٩) ينظر: الزمخشري، **أساس البلاغة**، (٣٢٤/٢). وكذلك: ابن منظور، **لسان العرب**، (١/ ١٥٢).

(١٠) من (**عضد**) والعَضِدُ من الإنسان وغيره الساعدُ وهو ما بين المرفق إلى الكتف. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (٣/ ٢٩٢).

(١١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ص٤٥.

(١٢) ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، (٤٦١/٣).

(١٣) ينظر: الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (٤١٩/١).

(١٤) ينظر: الصلابي، علي محمد محمد، **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، (٣/ ١٤١). وهو ما يُعرف بجبل الرماة. ينظر: المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، دار الفكر، (ط٤)، ٢٠١٤م–١٤٣٥هـ، ص٢٠٥.

(١٥) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٥٢/١). والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (٤٢١/١).

(١٦) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، (٢/ ١١٠). وابن سلاّم، أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم بن عبدالله البغدادي، **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم**، (١/ ٨). **واللغات في القرآن**، ابن حسنون، (٨/١).

(١٧) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٦/ ٥٩). والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (٢/ ١٤١). وابن سيده، **المخصص**، (٣ /٤٦١).

(١٨) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٥٢/١٨). وابن منظور، **لسان العرب**، (٣٥٦/٢).

(١٩) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (٣٨٠/٢). وابن سلاّم، **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم**، (٨/١).

(٢٠) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (٣٢٤/١).

(٢١) ورجح المفسرون واللغويون في معنى محيص: المهرب والحياد والانهزام. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (٢١٠/٧). وابن منظور، **لسان العرب**، (١٩/٧).

(٢٢) ينظر: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (٢/ ٨٧٣). وابن منظور، **لسان العرب**، (٢/ ١٥٢).

(٢٣) ابن منظور، **لسان العرب**،(١١/ ٤٥٨). وينظر: ابن سيده، **المخصص**، (٣ /٤٦٠).

(٢٤) ينظر: ابن سيده، **المخصص**، (٣ /٤٦١). وابن منظور، **لسان العرب**، (١٣/ ١١٩).

(٢٥) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، المكتبة العلمية، بيروت، (٢/ ٥٥٠).

(٢٦) هي الآيات: ٩/ ١٠/ ١١/ ١٧/١٦/ ٢٥.

(٢٧) ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ، (٣/ ١٧٣). والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (١٧/ ٦٠٢).

(٢٨) ابن منظور، **لسان العرب**، (٩/ ٣١٠).

(٢٩) ينظر: أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، **مسند أبي يعلى**، دار المأمون للتراث – دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق: حسين سليم أسد، (٨/ ٣٠٦).حديث رقم: ٣٩٠٤، تابع مسند عائشة -رضي الله عنها-. وقال عنه المحقق: إسناده صحيح.

(٣٠) ابن منظور، **لسان العرب**، (٤٩٨/٣). وينظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (٤/ ١٨٤). وإبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (٦٣٥/٢). والنووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (٢٩٢/٢).

(٣١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (٣٥٠/٥).

(٣٢) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (٤٢٠/١).

(٣٣) ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (١٠٠/١). وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (٣٩٠/١). وابن منظور، **لسان العرب**، (٩١/١١).

(٣٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (٨٧٣/٢).

(٣٥) ابن منظور، **لسان العرب**، (٣٥٦/٢).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

(٣٦) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (١٨٨/١).

(٣٧) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (٤٠٦/٣٧).

(٣٨) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، **القاموس المحيط**، (ص٨١٣).

(٣٩) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، **القاموس المحيط**، (ص٣٨٤).

(٤٠) ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (ط٣)، ص٢٦٩. وابن مرّار، أبو عمرو إسحاق الشيباني، **الجيم**، ص١٦٠. وابن سيده، **المخصص**، (٣/ ٤٦٠). وأبو جيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، دار الفكر، دمشق، سورية، (ط٢)، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٢٦٦.

(٤١) ابن سيده، **المخصص**، (٤٦٠/٣). وابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، (٣٣٢/١).

(٤٢) ابن سيده، **المخصص**، (٤٦١/٣).

(٤٣) قيل: مكية بالإجماع؛ ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (٢٥/ ٩٦). وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، (٢٧٠/٧).

(٤٤) ينظر: الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، **البيان في عد آي القرآن**، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ص٢٢١. والثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **الكشف والبيان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (ط١)، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، (٣١٠/٨).

(٤٥) وخمسون عند الباقين؛ اختلافها ثلاث آيات: (حم) و(عسق) (وكالأعلام) عدهن الكوفي ولم يعدهن الباقون. ينظر: الداني، **البيان في عد آي القرآن**، (٢٢١).

(٤٦) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٤/ ٢١٣).

(٤٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٨٩/١).

(٤٨) بتصرف: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٢)، ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ، (٥٩٢/٦).

(٤٩) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (٢١٥/٧).

(٥٠) القشيري، عبد الكريم بن هوازن الشافعي، **التيسير في علم التفسير**، (٧/ ١٩٨).

(٥١) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي (توفى ٥ ق. هـ) من بني غني من قيس بن عيلان. شاعر مخضرم مجيد من أهل الطبقة الثانية وشعره يحتج به عند أهل اللغة وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه فصارت من المراثي المعدودة عند العرب واشتهر بها وقد قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي: ليس في الدنيا مثله. ينظر: **معجم الشعراء العرب**، (١٩١٢/١). وكان يكثر من اقتباس الأمثال في شعره، فعرف بكعب الأم.

(٥٢) قال الغنوي هذه الأبيات في رثاء أخيه شبيباً. ينظر: ابن المبارك، محمد ابن ميمون، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

(٥٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٣/ ٢٣٠).

(٥٤) بتصرف: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 16 [2020], Iss. 1, Art. 20

والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (١٧/ ٢١٧).

(٥٥) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (٥٥٥/٢١).

(٥٦) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢١٥/٧).

(٥٧) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٦/ ٤٧). وابن عاشور، **التحرير والتنور**، (٢٣٠/١٣). والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (٢١ /٥٥٥). والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (٧/ ٢٠٠).

(٥٨) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (٤٣/٧- ٤٤).

(٥٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٠٣/٢٥).

(٦٠) ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، (١٧٠/١٧).

(٦١) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**،(٢١٠/٥).

(٦٢) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (٤٠٥/١٥).

(٦٣) أبو هلال العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، ص٥٧٨.

(٦٤) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم ٢٣١١، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، (٨٦٣/٢).

(٦٥) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (٤٤٣/٤).

(٦٦) أبو هلال العسكري، **معجم الفروق الغوية**، ص٤٩٢.

(٦٧) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٩/٧).

(٦٨) قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٢٦/٦).

(٦٩) ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، حديث رقم: ٤٦٠٠، (١٨٥٢/٤)، كتاب التفسير، باب سورة الحشر، "حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة التوبة قال التوبة هي الفاضحة ما زلت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لن تبقي أحدا منهم إلا ذكر فيها".

(٧٠) ينظر: النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٧١) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، **البيان في عد آي القرآن**، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (١٦٠-١٦١).

(٧٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ص ٢٤٨.

(٧٣) السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، ص١٢٧.

(٧٤) سبق تخريجه.

(٧٥) ورد في هذا الاسم لسورة التوبة: عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود بدمشق وهو على تابوت ما به عنه فضل فقال له رجل: لو قعدت العام عن الغزو قال: أتت علينا البحوث يعني سورة التوبة، قال الله ﷻ: **﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾** ولا أجدني إلا خفيفاً. وهذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح. النيسابوري، **المستدرك**، (٢/ ٣٦٣)، حديث رقم: ٣٢٨٢، باب تفسير سورة التوبة.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol16/iss1/20

(٧٦) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٦١/٨). وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٥/١٠).

(٧٧) ينظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (٦٤/٥). والسيوطي، **الدر المنثور**، (١٢١/٤). وابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٣/٣). والبقاعي، **نظم الدرر**، (٢٥٥/٣).

(٧٨) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، (ط٣)، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (٤/ ١٧٠٩)، حديث ٤٣٧٧، باب {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين}.

(٧٩) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٢٥٥/٣).

(٨٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٨٨/٦).

(٨١) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (٢٥٨/٣).

(٨٢) قرأ بها سعد بن عبد الرحمن بن عوف. ينظر: ابن سيده، **إعراب القرآن**، (٢٨٣/٥). "والجمهور على فتح ميم "مغارات" وقرأ عبد الرحمن بن عوف مُغارات بالضم وهو مِنْ أغار / وأغار يكون لازماً، تقول العرب: أغار بمعنى غار، أي: دخل، ويكون متعدياً تقول: أَغَرْتُ زيداً، أي: أدخلته في الغار، فعلى هذا يكون مِنْ أغار المتعدي، والمفعول محذوف، أي: أماكنُ يُغيرون فيها أنفسهم، أي: يُغَيِّبونها". ينظر: السمين الحلبي، **الدر المصون في علم الكتاب المكنون**، (٥٥/٨). والأخفش، **معاني القرآن**، (٣٠/٢). ولم أجد لها في كتب القراءات توجيه أو حكم.

(٨٣) بتصرف يسير: الزمخشري، **الكشاف**، (٢٦٨/٢).

(٨٤) بتصرف يسير: الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (٤١٥/١).

(٨٥) ذُكرت قصته في البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٧١٨)، كتاب التفسير، باب {وعلى الثلاثة الذين خلفوا ...}، حديث رقم: ٤٤٠٠.

(٨٦) ينظر: الواحدي، **أسباب النزول**، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، توزيع دار الباز، مكة المكرمة، ١٣٨٨ هـ– ١٩٦٨م، (١٧٥/١).

(٨٧) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٦/ ١٤٦). وينظر: السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، **لباب النقول في أسباب النزول**، ص (١٢٤)، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٨٨) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (١/ ٣٥٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم: ٤٨٦.

(٨٩) بتصرف: البقاعي، **نظم الدرر**، (٣/ ٣٩٨– ٣٩٩). وينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٨٢/٨). وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢٣٠/٤–٢٣١). وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٦/ ٤٧٤).

(٩٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،(١٧٨/٤).

(٩١) بتصرف: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٤٧١/٦).

(٩٢) الثعلبي، **الكشف والبيان**، (١٣/٥).

(٩٣) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (٢١/١٣).

(٩٤) ابن منظور، **لسان العرب**، (٣٤/٥).

(٩٥) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (٢٣٩/١١).

(٩٦) بتصرف: ابن منظور، **لسان العرب**، (٥١/١٤).

(٩٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٤١٥/٦).